

قَلِقٌ وَمْتَمِرٌ



السَّبْتُ بَعْدَ الظُّهْرِ

المراجع الأسبوعية: سفر العدد ١١: ١-٣٣؛ سفر العدد ١٢: ١-١٣؛ سفر العدد ١٣: ٢٧-٣٣؛ سفر العدد ١٤: ١-٢٣؛ ١ كورنثوس ١٠: ١-١١؛ سفر العدد ١٤: ٣٩-٤٥.

آية الحفظ: «فَهَذِهِ الْأُمُورُ جَمِيعُهَا أَصَابَتْهُمْ مِثَالًا، وَكُتِبَتْ لِإِنذَارِنَا نَحْنُ الَّذِينَ أَنْتَهَتْ إِلَيْنَا أَوَاخِرُ الدُّهُورِ» (١ كورنثوس ١٠: ١١).

على مر القرون، أفاد الكثير من الناس عن سلوك غريب ومضطرب يظهر على الكلاب والحيوانات الأليفة الأخرى قبل حدوث الزلازل الكبرى بفترة زمنية. لقد أثبت العلماء الآن أن الحيوانات قادرة على اكتشاف الموجات الزلزالية الأولى من الزلزال — موجة الضغط — التي تصل قبل موجة الاهتزاز الثانوية. ربما يفسر هذا سبب الإبلاغ عن تصرفات مرتبكة أو مضطربة للحيوانات قبل أن تبدأ الأرض في الاهتزاز. يمكن لبعض الحيوانات، مثل الفيلة، أن تدرك الموجات الصوتية والاهتزازات منخفضة التردد الناتجة عن الهزات الارتدادية، والتي لا يمكن للبشر اكتشافها على الإطلاق. قبل دقائق قليلة من الزلزال الذي بلغت قوته ٥,٨ درجة بمقياس ريختر والذي ضرب منطقة واشنطن العاصمة في ٢٣ آب (أغسطس) ٢٠١١، بدأت بعض الحيوانات في حديقة الحيوان الوطنية التابعة لمعهد سميشسونيان تتصرف بغرابة ومن بينها حيوانات اللبؤم أو الهبّار، التي بدأت في الصراخ بصوت عالٍ لمدة ١٥ دقيقة قبل أن تبدأ الأرض في الاهتزاز. في درس هذا الأسبوع، سننظر إلى بعض الأمثلة على الاضطراب البشري الغريب الذي حدث، ليس عن طريق الكوارث الطبيعية الوشيكة مثل الزلازل، بل بالأحرى بسبب الخطايا الأساسية للجنس البشري الذي لم يسترح فيما يقدمه المسيح لجميع الذين يأتون إليه بالإيمان والطاعة.

* نرجو التعمق في موضوع هذا الدرس استعداداً لمناقشته يوم السبت القادم الموافق، ١٠ تموز (يوليو).

تَمَلُّمٌ فِي الْبَرِّيَّةِ

لا بد أن بني إسرائيل شعروا بالقلق وعدم الارتياح عندما غادروا سيناء في طريقهم إلى كنعان. كان قد مضى أكثر من عام على مغادرة مصر. (سفر العدد ١: ١). وكانوا مستعدين لدخول أرض الموعد. وقد تمَّ إحصاؤهم وتنظيمهم. لقد شهدوا إعلانات مدهشة لنعمة الله وعلامات واضحة لحضوره. ومع ذلك، فقد تمردوا وتذمروا في أول مكان وصلوا إليه بعد رحيلهم من سيناء.

اقرأ عدد ١١: ١-١٥. ما الذي كان بنو إسرائيل يتذمرون بشأنه؟

تاق الإسرائيليون إلى اللحمِ وَالْفَتَاءِ وَالْبَطِيخِ وَالْكُرَاتِ وَالْبَصَلِ وَالثُّومِ فِي مِصْرَ. وكانوا يقولون، «مَنْ يُطْعِمُنَا لَحْمًا؟ قَدْ تَذَكَّرْنَا السَّمَكَ الَّذِي كُنَّا نَأْكُلُهُ فِي مِصْرَ مَجَانًا، وَالْفَتَاءَ وَالْبَطِيخَ وَالْكُرَاتِ وَالْبَصَلِ وَالثُّومَ. وَالآنَ قَدْ يَبِسَتْ أَنْفُسُنَا. لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ أَنْ أَعِينَنَا إِلَى هَذَا الْمَنْ!» (سفر العدد ١١: ٤-٦). لكن، لا بد أنهم عانوا أيضًا من الذاكرة الانتقائية الشديدة عندما تذكروا الطعام ونسوا العبودية والصعوبات التي لا تصدق (قارن مع الأصحاح الأول من سفر الخروج ١).

لقد تم إطعامهم من قِبل الله لأكثر من عام. ومع ذلك، شعروا بالتململ وأرادوا شيئًا آخر. حتى موسى قد تأثر. إن محاولة قيادة مجموعة من الأشخاص المضطربين ليست بالأمر السهل. لكن موسى عرف إلى مَنْ يلجأ. «لِمَاذَا أَسَأْتَ إِلَيَّ عَبْدِكَ؟ وَلِمَاذَا لَمْ أَجِدْ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ حَتَّى أَنْتَ وَصَعْتَ ثِقْلَ جَمِيعِ هَذَا الشَّعْبِ عَلَيَّ؟» (سفر العدد ١١: ١١).

كيف يستجيب الله للشكاوى؟ اقرأ سفر العدد ١١: ١٦-٣٣.

إن الله لا يصم أذنيه عن احتياجاتنا عند شعورنا بالقلق. في حالة بني إسرائيل، أعطاهم السلوى لإشباع رغبتهم في اللحوم. لكنها لم تكن اللحم الذي أراده بنو إسرائيل حقًا. عندما نكون غير سعداء ومتململين وغاضبين، فإن ما نشعر بالغضب تجاهه هو في كثير من الأحيان مجرد فتيل التفجير — وليس السبب الرئيسي للصراع. نحن نضارع بسبب وجود شيء خاطئ أعمق، يؤثر على علاقاتنا الأساسية. تمرد بنو إسرائيل ضد قيادة الله، وهو أمر يجب علينا جميعًا توخي الحذر بشأنه، بغض النظر عن وضعنا وسياقنا المباشرين، لأن القيام بذلك قد يكون أسهل مما نعتقد.

لماذا من السهل التفكير في الماضي وتذكره على أنه كان أفضل مما كان عليه بالفعل؟

التمرد مُعدِّ

اقرأ سفر العدد ١٢: ١-٣. ما الذي أغضب مريم وهارون؟

ظاهرياً، مريم وهارون كانا غير راضيين عن زوجة موسى الكوشية. كانت صفورة غريبة من مديان (انظر خروج ٣: ١). وهكذا فإنه حتى بين «النخبة» الإسرائيلية، ظهرت طبيعتنا الساقطة، ولم تظهر بطريقة لائقة بالمرة. (وهل يمكنها الظهور كذلك على الإطلاق؟) لكن النص الكتابي يُظهر بوضوح أن هذا كان مجرد ذريعة. فإن السبب الرئيسي لتذمرهما كان يتعلق بالموهبة النبوية. في الأصحاح السابق، طلب الله من موسى تعيين سبعين من شيوخ إسرائيل الذين كانوا سيساعدون موسى على تحمل العبء الإداري للقيادة (سفر العدد ١١: ١٦، ١٧، ٢٤، ٢٥). كان هارون ومريم يلعبان أدواراً قيادية أيضاً (خروج ٤: ١٣-١٥؛ ميخا ٦: ٤)، ولكنهما الآن شعرا بالتهديد من تطورات القيادة الجديدة وقالوا، «هَلْ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَحَدَهُ؟ أَلَمْ يَكَلِّمْنَا نَحْنُ أَيْضًا؟» (سفر العدد ١٢: ٢).

كيف استجاب الله لهذا التذمر؟ اقرأ سفر العدد ١٢: ٤-١٣. لماذا تعتقد أن الله استجاب بشكل حاسم؟

كان ردُّ الله فورياً ولم يترك مجالاً للتبرير. فالموهبة النبوية ليست سلاحاً يُستخدم لممارسة المزيد من القوة والنفوذ. كان موسى ملائماً تماماً للقيادة لأنه تعلم مدى اعتماده الشديد على الله.

تشير حقيقة ذكر مريم قبل هارون في الآية ١ إلى أنها ربما كانت هي المحرّض على الهجوم على موسى. في هذا الوقت، كان هارون بالفعل رئيس كهنة لإسرائيل. فلو كان قد أصيب بالجذام، لما استطاع دخول المسكن والخدمة نيابة عن الشعب. إن عقاب الله لمريم بأن أصيبت بالجذام المؤقت عبّر بوضوح عن استياء الله من كليهما وساعد على إحداث تغيير في السلوك الذي كانت تحتاجه هذه العائلة. يؤكد توسل هارون نيابة عنها أنه كان متورطاً أيضاً (سفر العدد ١٢: ١١)، والآن بدلاً من النقد والقلق، نرى هارون يتشفع نيابة عن مريم، ونرى موسى يتوسط نيابة عنها (سفر العدد ١٢: ١١-١٣). هذا هو السلوك الذي يريد الله أن يراه في شعبه. وقد استمع الله، وشفى مريم.

على الرغم من أنه من السهل دائماً أن تكون ناقدًا لقيادة الكنيسة، على أي مستوى، إلى أي مدى ستكون كنيستنا وحياتنا الروحية الخاصة أفضل إذا تشفّعنا نيابة عن قادتنا، بدلاً من الشكوى والتذمر منهم، حتى عندما نخلف معهم؟

التململ يؤدي إلى التمرد

تبدأ القصة بملاحظة إيجابية. وصل الإسرائيليون أخيراً إلى حدود كنعان، وتم إرسال ١٢ جاسوساً لاستكشاف الأرض. وقد كان تقريرهم غير عادي.

اقرأ تقرير الجواسيس في سفر العدد ١٣: ٢٧-٣٣. عند أية نقطة تبددت آمال الإسرائيليين؟

على الرغم من تدخّل كالب، سادت أصوات المشككين والمنتقدين. لم يبادر بنو إسرائيل بأن يلوذوا بما وعدهم به الله. التلملم في القلب، لقد اختاروا البكاء والتذمر بدلاً من التقدّم والتهاتف من أجل النصر.

عندما نكون مضطربين في القلب، نجد صعوبة في السير بالإيمان. غير أن التلملم، لا يؤثر فقط على مشاعرنا. يقول العلماء أن هناك علاقة واضحة من السبب والتأثير بين الحصول على القليل جدًّا من الراحة (بما في ذلك نقص النوم) وبين الخيارات السيئة، مما يؤدي إلى السمّنة والإدمان، وهو ما يؤدي إلى مزيد من الاضطراب والتعاسة.

اقرأ سفر العدد ١٤: ١-١٠. ماذا حدث بعد ذلك؟

تحولت الأمور من سيئ إلى أسوأ. فإن مناشدة كالب اليائسة للشعب، «إِنَّمَا لَا تَتَمَرَّدُوا عَلَى الرَّبِّ» (سفر العدد ١٤: ٩)، ذهبت هباءً دون أن تلقى أي اهتمام، واستعدت الجموع بأكملها لرحم قادتها. يؤدي التلملم إلى التمرد، ويؤدي التمرد إلى الموت.

«وقد صاح الجواسيس غير الأمناء يُشْهَرُونَ بكالب ويشوع، وصاح بعضهم يطلبون رجمهما بالحجارة. فتناول أولئك الرعاع المعتوهون حجارة لقتل ذينك الرجلين الأمينين، واندفعوا إلى الأمم يصرخون صرخات مجنونة، وفجأة سقطت الأحجار من أيديهم وساد السكوت على الجميع وارتعبوا من شدة خوفهم، فلقد تدخل الله ليحول بينهم وبين غرضهم الإجرامي، فأضاء الخيمة مجد حضوره كنور مشتعل. فرأى الجميع علامة حضور الرب. إن سيّدا أعظم منهم قد أعلن نفسه، ولم يجرؤ أحد على التماذي في المقاومة. أما الجواسيس الذين جاءوا بذلك الخبر السيّ فجثموا في أماكنهم إذ قد صعقوا، ثم أسرعوا يلهثون إلى خيامهم.» (روح النبوة، الآباء والأنبياء، صفحة ٣٤٤).

في ذلك الوقت، تجلّى مجد الرب ذاته في العنن. عندما نقرأ القصة في سفر العدد ١٤، يبدو وكأنّ المشهد بأكمله قد تم تجميده، ونجد أنفسنا نستمتع بشكل خاص إلى

محادثة الله مع موسى. أدرك الله أنه على الرغم من أن حجارة التمرد والانتقاد وُجّهت صوب موسى وكالب ويشوع، إلا أن التمرد في نهاية المطاف كان موجّهًا ضد الله نفسه.

٧ تموز (يوليو)

الأربعاء

الشفيع

ما هي الفرصة التي يقدمها الله لموسى في وجه هذا التمرد؟ اقرأ سفر العدد ١٤: ١١، ١٢.

عرض الله تدمير إسرائيل وإقامة أمة جديدة كاملة يكون موسى بمثابة أب لهم جميعًا.

كيف استجاب موسى لهذا التمرد الصريح، ليس ضده فقط، بل ضد الله؟ (سفر العدد ١٤: ١٣-١٩).

هذه هي اللحظة التي يمكننا أن نرى فيها رجل الله الحقيقي. إن جواب موسى آنذاك كان فيه إشارة إلى الشفيع الذي، بعد أكثر من ١٤٠٠ سنة، كان سيصلي من أجل تلاميذه في آلامهم (يوحنا ١٧). في الواقع، يرى العديد من اللاهوتيين وطلاب الكتاب المقدس فيما فعله موسى هنا مثالاً لما يفعله المسيح من أجلنا. فعلى الرغم من أنه ليس هناك شك في أنهم كانوا مذنبين، وكذلك نحن أيضًا، ناشد موسى الرب قائلاً: «كَعْظَمَةِ نِعْمَتِكَ» (سفر العدد ١٤: ١٩)، أرجوك سامح هؤلاء الناس. وكما فعل الرب آنذاك بسبب شفاعته موسى، هكذا يفعل أيضًا لأجلنا بسبب استحقاقات يسوع، بسبب موته وقيامته وتشفيعه لأجلنا. لذا، ناشد موسى الرب: «إِضْفَحْ عَن ذَنْبِ هَذَا الشَّعْبِ كَعْظَمَةَ نِعْمَتِكَ، وَكَمَا عَفَرْتَ لِهَذَا الشَّعْبِ مِنْ مِصْرَ إِلَى هَهُنَا» (سفر العدد ١٤: ١٩). إن النعمة تحارب وتناهض التمرد والتملل في صميميهما. الصفح والغفران يقدمان بدايات جديدة.

ومع ذلك، هناك تكاليف. لا يمكن أن تكون النعمة رخيصة على الإطلاق. على الرغم من مسامحة الله لهم، كان الناس سيواجهون عواقب تمردهم، ولم يُسمح لذلك الجيل أن يدخل أرض الميعاد (سفر العدد ١٤: ٢٠-٢٣).

نعم، كان الله سيحفظهم على مدار ٣٨ سنة أخرى في البرية. وكان سيظعمهم ويكلمهم من المسكن، وسيكون بجانبهم في البرية. ولكن بعد ذلك كانوا سيموتون، وكان سيتعين على جيل جديد أن يتسلم المهمة ويجد الراحة في أرض الموعد.

يبدو وكأن هذا كان حكمًا وإدانة. ومع ذلك، فقد ذلك نعمة حقًا. فكيف سيكون هذا الجيل قادرًا على غزو شعوب مُدن كنعان القوية إذا كانوا لم يتعلموا بعد الثقة بالله؟ كيف سيكونون نورًا للأمم في حين كانوا يتعثرون في الظلام؟

الإيمان مقابل الافتراض

ما هي أوجه الشبه التي تراها بين تجوال بني إسرائيل في البرية وشعب الله الذين يعيشون قبل المجيء الثاني ليسوع؟ (انظر ١ كورنثوس ١٠: ١-١١).

على مر التاريخ، كان شعب الله يتجولون في البرية وهم يبحثون عن أرض الموعد. هذه البرية لها وجوه عديدة الآن. فيبدو وكأنه وابل إعلامي لا نهاية له، الصافرات المستمرة للرسائل الواردة، والهدير الغامر لوسائل الترفيه اللامتناهية. إن هذه البرية تحاول بيع المواد الإباحية لنا كما لو كانت محبة، والماديات كما لو كانت حلولاً لمشاكلنا. وتوحي لك بأنه إذا كان بمقدورك أن تكون أكثر لياقة، وأن تبدو أصغر قليلاً في السن، وإذا كنت أكثر ثراءً وأكثر جاذبية جنسية — فسيكون في ذلك حل لمشاكلك.

مثل بني إسرائيل عندما كانوا في البرية، نحن قلقون في بحثنا عن السلام، وكثيراً ما نبحث عنه في الأماكن الخاطئة.

كيف كان رد فعل بني إسرائيل على دينونة الله في سفر العدد ١٤: ٣٩-٤٥؟

كان رد فعل بني إسرائيل على الحكم الإلهي نموذجياً. فقد قالوا «فإِنَّا قَدْ أَخْطَأْنَا». «هُوَذَا نَحْنُ! نَصْعَدُ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ الرَّبُّ عَنْهُ» (سفر العدد ١٤: ٤٠).

التكريس الفاتر يشبه اللقاحات التي تدار بشكل سيئ — لا تعطي مفعولاً جيداً. اليوم، يوصي الأطباء بالتطعيم ضد التهاب الكبد الفيروسي B بعد الولادة مباشرة خلال الـ ٢٤ ساعة الأولى من الحياة. هذه بداية جيدة. ومع ذلك، فبعد هذا التطعيم، إذا لم يكن هناك تطعيمان أو ثلاث تطعيمات في الوقت المناسب وبالجرعات الصحيحة، لن تكون هناك حماية ضد التهاب الكبد الفيروسي B على الإطلاق.

إن تحول بني إسرائيل المتمرد، الذي ورد في الآيات الأخيرة من سفر العدد ١٤، قد أدى إلى الموت وخيبة الأمل حيث رفض بنو إسرائيل قبول توجيهات الله الجديدة وشنوا بعناد هجوماً دون رفقة تابوت العهد أو قيادة موسى.

العجرفة مكلفة، فهي تؤدي إلى الموت. في كثير من الأحيان، تكون العجرفة مدعومة بالخوف. فلأننا خائفون من شيء ما، نتخذ قرارات نندم عليها لاحقاً.

فكر في وقت تصرفت فيه بالإيمان وفي وقت تصرفت فيه بدافع التعجرف. ماذا كان الفرق الحاسم؟

الجمعة

٩ تموز (يوليو)

لَمَزِيدٍ مِنَ الدَّرْسِ: «بدا الآن أن توبتهم عن تصرفهم الخاطئ كانت توبة صادقة إلا أن حزنهم كان بسبب نتائج مسلكهم الشرير لا لأنهم شعروا بجحودهم وعصيانهم. ولما رأوا أن الله لم يتراجع في حكمه ثار عنادهم مرة أخرى وأعلنوا أنهم لن يعودوا إلى البرية. إن الله حين أمرهم بالرجوع عن أرض أعدائهم أراد أن يختبر خضوعهم فتحقق من أنه ليس خضوعاً حقيقياً. لقد عرفوا أنهم أخطأوا خطية عظيمة في استسلامهم لعواطفهم الطائشة، وفي محاولتهم قتل الجاسوسين اللذين ألحا عليهم في إطاعة الله، ولكنهم ارتعبوا حين اكتشفوا أنهم قد ارتكبوا خطأ رهيباً لا بد أن تنتج عنه نتائج وخيمة تلحق بهم. فقلوبهم لم تتغير، إنما هم فقط كانوا يبحثون عن عذر يدعو إلى ثورة مماثلة. وقد وجدوا ضالتهم حين أمرهم موسى، بناء على أمر الله، أن يعودوا إلى البرية.» (روح النبوة، الآباء والأنبياء، صفحة ٣٤٥، ٣٤٦).

«ولكن الإيمان لا يتفق مع الغطرسة بأي معنى من المعاني. فالذي عنده إيمان حقيقي هو وحده المحصن ضد الغطرسة. لأن الغطرسة والتهور هما تزييف الشيطان للإيمان. إن الإيمان يتمسك بوعد الله ويثمر ثمار الطاعة. والغطرسة والتهور يتمسكان هما أيضاً بالمواعيد، ولكنهما يستخدمانها كما استخدمها الشيطان عذراً للعصيان. كان يمكن أن يقود الإيمان أبونا الأولين إلى الثقة بمحبة الله وإطاعة أوامره، ولكن التهور قادهما إلى عصيان شريعته وهما واثقان من أن محبته العظيمة ستنجيهما من قصاص خطيتهما. إن الإيمان ليس هو الذي يطلب رضى السماء دون الامتثال للشروط التي بموجبها توهب الرحمة. ولكن الإيمان الحقيقي هو الذي يُؤسِّس على وعود الكتاب ونصوصه» (روح النبوة، مشتهى الأجيال، صفحة ١١٣).

أسئلة للنقاش

١. ناقش الفرق بين الإيمان والاختيال. لماذا نُظِرَ إلى غزو أرض كنعان في البداية على أنه عمل إيمان، وبعد ذلك، عندما هاجم بنو إسرائيل، نُظِرَ إليه على أنه عمل متعجرف؟ كيف يلعب كلاً من الدافع والظروف دوراً كبيراً في الفرق بين الإيمان والتعجرف؟

٢. أمعن التفكير في حقيقة أنه على الرغم من أنه يمكن الصفح عن الخطايا، إلا أننا غالباً ما يتوجب علينا العيش مع عواقب تلك الخطايا. كيف يمكنك مساعدة أولئك الذين يعانون من معرفة أن الله قد غفر لهم خطية ما ومع ذلك فإنها ما زالت تؤثر عليهم سلباً، وربما حتى تؤثر على أحبائهم؟